(ذلكم قولكم بأفواهكم وا يقول الحق وهو يهدي السبيل [4]) استئناف اعتراضي بين التمهيد والمقصود من التشريع وهو فذلكة كما تقدم من الجمل الثلاث التي نفت جعلهم ما ليس بواقع واقعا ولذلك فصلت الجملة لأنها تتنزل منزلة البيان بالتحصيل لما قبلها .

والإشارة إلى مذكور ضمنا من الكلام المتقدم وهو ما نفي أن يكون ا جعله من وجود قلبين لرجل ومن كون الزوجة المظاهر منها أما لمن ظاهر منها ومن كون الأدعياء أبناء للذين تبنوهم . وإذ قد كانت تلك المنفيات الثلاثة ناشئة عن أقوال قالوها صح الإخبار عن الأمور المشار إليها بأنها أقوال باعتبار أن المراد أنها أقوال فحسب ليس لمدلولاتها حقائق خارجية تطابقها كما تطابق النسب الكلامية الصادقة النسب الخارجية وإلا فلا جدوى في الإخبار عن تلك المقالات بأنها قول بالأفواه .

هو إنما القول أن المعلوم من فإنه (بأفواهكم) بقوله قيد المعنى هذا ولإفادة A E بالأفواه فكان ذكر (بأفواهكم) مع العلم به مشيرا إلى أنه قول لا تتجاوز دلالته الأفواه إلى الواقع ونفس الأمر فليس له من أنواع الوجود إلا الوجود في اللسان والوجود في الأذهان دون الوجود في العيان ونظير هذا قوله تعالى (كلا إنها كلمة هو قائلها) أي لا تتجاوز ذلك الحد أي لا يتحقق مضمونها في الخارج وهو الإرجاع إلى الدنيا في قول الكافر (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت) فعلم من تقييده (بأفواهكم) أنه قول كاذب لا يطابق الواقع وزاده تصريحا بقوله (وا يقول الحق) فأومأ إلى أن قولهم ذلك قول كاذب . ولهذا عطفت عليه جملة (وا يقول الحق) لأنه داخل في الفذلكة لما تقدم من قوله (ما جعل ا) الخ . فمعنى كونها أقوالا أن ناسا يقولون : جميل له قلبان وناسا يقولون لأزواجهم : أنت كظهر أمي وناسا يقولون للدعي : فلان ابن فلان يريدون من تبناه .

وانتصب (الحق) على أنه صفة لمصدر محذوف مفعول به ل (يقول) . تقديره : الكلام الحق لأن فعل القول لا ينصب إلا الجمل أو ما هو في معنى الجملة نحو (إنها كلمة هو قائلها) فالهاء المضاف إليها (قائل) عائدة إلى (كلمة) وهي مفعول أضيف إليها .

وفي الإخبار عن اسم الجلالة وضميره بالمسندين الفعليين إفادة قصر القلب أي هو يقول الحق لا الذين وضعوا لكم تلك المزاعم وهو يهدي السبيل لا الذين أضلوا الناس بالأوهام . ولما كان الفعلان متعديين استفيد من قصرهما قصر معموليهما بالقرينة ثم لما كان قول ا في المواضع الثلاثة هو الحق والسبيل كان كناية عن كون ضده باطلا ومجهلة . فالمعنى : وهم لا يقولون الحق ولا يهدون السبيل .

والسبيل : الطريق السابلة الواضحة أي الواضح أنها مطروقة فهي مأمونة الإبلاغ إلى غاية السائر فيها .

وإذا تقرر أن تلك المزاعم الثلاثة لا تعدو أن تكون ألفاظا ساذجة لا تحقق لمدلولاتها في الخارج اقتضى ذلك انتفاء الأمرين اللذين جعلا توطئة وتمهيدا للمقصود وانتفاء الأمر الثالث المقصود وهو التبني فاشترك التمهيد والمقصود في انتفاء الحقية وهو أتم في التسوية بين المقصود والتمهيد .

وهذا كله زيادة تحريض على تلقي أمر ا بالقبول والامتثال ونبذ ما خالفه .

(ادعوهم لابائهم هو أقسط عند ا فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) استئناف بالشروع في المقصود من التشريع لإبطال التبني وتفصيل لما يحق أن يجريه المسلمون في شأنه .

وهذا الأمر إيجاب أبطل به ادعاء المتبني متبناه ابنا له . والمراد بالدعاء النسب .

والمراد من دعوتهم بآبائهم ترتب آثار ذلك وهي أنهم أبناء آبائهم لا أبناء من تبناهم .

واللام في (لآبائهم) لام الانتساب وأصلها لام الاستحقاق . يقال : فلان لفلان أي هو ابنه أي ينتسب له ومنه قولهم : فلان لرشدة وفلان لغية أي نسبه لها أي من نكاح أو من زنى وقال النابغة : .

لئن كان للقبرين قبر بجلق ... وقبر بصيداء الذي عند حارب أي من أبناء صاحبي القبرين .

وقال علقمة بن عبد يمدح الملك الحارث : .

فلست لأنسي ولكن لملاك ... تنزل من جو السماء يصوب